الأخ الكريم:مجدي داود

طلبت مني أن أعلق على ما تفضلت به، وهذا سلوك مسيحي نادر في جيل يندفع نحو أعماق التعصب والجهل في سرعة ولا يريد حتى التروي والإنتظار والتفكير بهدوء.

أهنئك على الأسلوب الراقي والرؤية الأرثوذكسية التي تعلو على الفكر السائد، وهذا نعمة من الله، تعمل فينا، وأحياناً لا ندركها إلا بعد أن يوجه غيرنا النظر اليها.

يهمني بشكل خاص الفقرة الخاصة تحت عنوان "ماذا حدث لجسد يسوع في القبر" وهذه الفقرة لا يمكن فصلها عن فقرة أخرى تحت عنوان "نزول المسيح الى الجحيم". كلاهما معاً رؤية واحدة تحتاج الى بعض الإيضاح منك ومني.

**أولاً**: لقد عشت فترة الشباب والرجولة في جيل آخر، ربما أنت لم تعاصره بحكم السن وزمان الميلاد. ولدي ملاحظة واحدة على هذا الجيل وعلى جيل الأنبا شنودة بل أعود الى كتاب الأنبا بطرس السندمنتي "القول الصحيح في آلام المسيح" والذي أرجو أن ينال اهتمامك، أي الى القرن ١٣، هذه الفترة الطويلة تؤكد عدم استيعاب قادتنا الصالحين لتجسد الابن الكلمة له المجد. إن الإيمان بالتجسد على النحو الذي شرحه بكفاية القديس اثناسيوس يستدعي مراجعة شاملة لكل ما نقول:

١- أخذ الإبن الكلمة جسداً قابلاً للموت (٩: ١). جسداً مماثلاً لطبيعة اجسادنا (٨: ٤)، جسداً مماثلاً لجسد جميع البشر (٩: ٢).

٢- وحضور الكلمة المتجسد (١٨: ٢) "معطياً الحياة له، فقد كان من الطبيعي أن يمنح الحياة للكون كله في نفس الوقت" (٢: ٢).

٣- التجسد كان تحولاً حقيقياً وليس مجرد خيال بل هو تحول: الفاسد الى عدم فساد (٢٠: ١) المائت إلى غير مائت لأن ربنا يسوع المسيح هو الحياة ذاتها (٢٠: ١) وفي عبارة واحدة "فالجسد لكونه من طبيعة البشر ذاتها لأنه كان جسداً بشرياً ... لأنه كان قابلاً للموت ... غير انه بفضل اتحاده بالكلمة فإنه لم يعد خاضعاً للفساد حسب طبيعته، بل بسبب الكلمة الله الذي حل فيه فإن الفساد لم يلحق به ... الموت والفساد قد أبيدا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به (٢٠: ٣-٥).

**ثانياً**: لم تكن مواجهة الرب للموت على مستوى إرادة من هو "الحياة" (٢٢: ٣) فقط بل كان لا بد أن يتم الموت فعلاً في جسد الرب "قبل في الجسد ذلك الموت الذي أتاه من البشر لكي يبيد ذلك الموت تماماً عندما يلتقي به في جسده" (٢٢: ٣) على مستوى أو حسب مستوى الإرادة "قدم جسده للموت" (٢٥: ٦) وهو ما أكده الرب يسوع نفسه (يوحنا ١٠: ١٨)، ولذلك يقول الرسول "بهذه الإرادة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع مرة واحدة" (عب ١٠: ١٠)، ولذلك يستخدم القديس أثناسيوس "هيكل الحياة" (٣١: ٤ – ٤٤: ٥ – ٤٥: ١ – ٤٧: ٢ – ٥٤: ٣).

لكن حسب الواقع نفسه، أي الحقيقة الإنسانية كما هي في الزمان والتاريخ كان موت الصليب حقيقة حدثت في الواقع نفسه وعلى الجلجثة. والقديس اثناسيوس يكتب في دقة:

"الموت والفساد قد أبيدا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به كان الموت حتمياً كان لابد أن يتم الموت عن الجميع" (٢٠: ٥) فقد حدث لقاء، أو حسب تعبير اثناسيوس نفسه مصارعه بين من هو الحياة والموت، وهذا التشبيه جدير بالملاحظة: "وكما أن المصارع النبيل، العظيم في المهارة والشجاعة، لا يختار خصومه بنفسه .. هكذا الحال أيضاً مع ربنا يسوع المسيح حياة الكل، فإنه لم يختر لجسده موتاً معيناً، لكي لا يبدو وكأنه يخشى شكلاً معيناً من أشكال الموت، لأن الموت الذي قبله واحتمله على الصليب قد أوقعه عليه الآخرون ... لكن المسيح أباد هذا الموت، فآمن به الجميع أنه هو الحياة، الذي به تتم إبادة سلطان الموت كلية" (٢٤: ٣).

الموت على الصليب "لابد أن يسبق القيامة" (٢٣: ١)، ولم يهرب الرب من الموت بل تعقب الموت حتى يقضي عليه" (٢٢: ١) فقد "انتظر إلى أن يأتيه الموت ليبيده" (٢٢: ٢). وبكل دقة يذكر معلمنا العظيم "لكي يبيد ذلك الموت تماماً عندما يلتقي به في جسده" (٢٢: ٣). ويبرز معلمنا العظيم في عبارة موجزة ذلك الصراع بين من هو الحياة "لأنه الحياة والقوة فقد نال الجسد منه قوة" (٢١: ٥).

**ثالثاً**: إذا كان موت الصليب قد تم فعلاً في جسد الرب، فإن هذا الموت ليس كما يُشاع الآن – بكل أسف – هو موت الخطاة – موت العقوبة – موت دفع الثمن – هذه كلها هي "زبالة العصر الوسيط الأوروبي" التي وفدت مع الإرساليات .. ولعلك واحد من القلائل جداً الذين لمسوا **الجانب الكوني لموت الرب يسوع**. هذا يؤكده القديس اثناسيوس في أكثر من موضع، إذ يكتب "لأن الجنس البشري كان سيهلك بالتمام لو لم يكن رب الكل ومخلص الجميع قد جاء ليضع حداً للموت" (٩: ٤). وفي الرسالة إلى الوثنيين "إن الله رأى أن كل الطبيعة التي خلقت عرضة للزوال وللإنحلال حسب قانون خلقتها (من العدم) ولكي لا تنتهي إلى هذه النهاية، ولكي لا يُباد الكون ويعود إلى العدم الذي جاء منه، فإنه خلق كل الأشياء بكلمته الأزلي وأعطى الخليقة وجوداً وكياناً وبالإضافة إلى ذلك لم يشأن أن يطوح به في عاصفة (العدم) وهو الإتجاه الذي تسلكه الطبيعة لئلا تتلاشى من الوجود مرة أخرى .." (٤١: ٣). فقد رد الكلمة للكون مساره لأنه هو قائد الخليقة حسب صلاحه الذاتي الذي يقود الكل إلى الحياة (تجسد الكلمة ٤٣: ٧).

هنا يبقى أمامنا سؤال هام لا بد من الإجابة عليه أولاً من التاريخ كما دون في الأناجيل أن الرب يسوع مات فعلاً وأسلم الروح (يوحنا ١٩: ٣٠) وانفصال الروح الإنسانية أو النفس عن الجسد هو موت حقيقي حدث للرب نفسه على الصليب. هذا لا علاقة له بالنسطورية بالمرة. وثانياً من شرح انجيل يوحنا للقديس كيرلس الإسكندري الذي قاوم النسطورية إذ يشرح "اسلم الروح".

"لقد اعلن، "لقد كمل" أي أن الساعة التي دعي فيها لكي يبشر للأرواح التي في الجحـــيم. فقد افتقدهم لكي يكون رب الأحياء والأموات ولأجلنا واجه الموت نفسه وجاز تحت ما هو عـــام لكل البشر، فعل هذا حسب الجسد رغم انه الله وهو الحياة ذاتها، لكي يسبي الجحيم ويعيـــد الحيـــاة للطبيعة الإنسانية وحقاً يتم "صار بكر الراقدين" و"البكر من الأموات" حسب الكتب. ونكس رأسه وهو ما يحدث لكل الذين يموتون عندما تنحل قوى الجسد وترتخي المفاصل، لأن الروح أو النفس التي اتحدت بالجسد وتعطي له الحياة قد فارقته. وعندما استخدم الإنجيلي تعبير "أسلم الروح فهو تعبير لا يختلف لفظاً عما هو شائع لأن عامة الناس يستخدمون تعبيراً مشابهاً "لقد انطفأت حياتـــه ومـــات" ولكن كان الإنجيلي يقصد غاية معينة لأنه بدلاً من أن يقول إنه مات، قال إنه "اسلم *gave up* أي سلَّم روحه ليدي الآب حسبما قال هو "يا أبتاه في يديك استودع روحي" (لو ٢٣: ٤٥) ولأجلنـــا نحن كتب هذا التعبير الخاص الذي يؤيد ما لدينا من رجاء ثابت، لأننا نؤمن أن نفـــوس القديســـين عندما تفارق الجسد الترابي وحسب رحمة الله العظمى تستودع إلى يدي الله الفائق المحبة ... وتسرع إلى يدي الله آب الكل لأن المخلص قد أعد لنا هذا الطريق الجديد، لأنه استودع نفسه في يدي أبيه، لكي يكون لنا هذا مرساة نحن الذين نثبت في هذا الإيمان الذي يعطي لنا هذا الرجاء عنـــدما نجـــوز موت الجسد، فإننا في يدي الله، حقاً، هذا أعظم من أن نبقى في الجسد ولذلك قال بولس الحكـــيم مؤكداً لنا انه من الأفضل "أن أنطلق وأكون مع المسيح" (الكتاب ١٢ راجع الترجمة الإنجليزية الـــتي نشرت حديثاً، المجلد الثاني ص ٥٥٥ – ٥٥٦).

## نفس أو روح المسيح يسوع ربنا

كانت هرطقة أبوليناريوس – رغم انه كان من أعظم المثقفين من الأساقفة [1] – بمثابة إنذار شديد الوقع على الكنيسة الجامعة لأنها كانت تنكر حقيقة تجسد ابن الله اي أنه إنسان كامل له جسد ونفس أو روح انسانية. ومدارس الهرطقات جميعاً تدور حول نقطة مركزية واحدة وهي بقاء انفصال الله عن الإنسانية – حتى بعد التجسد. الأرثوذكسية لا تنكر اختلاف الطبيعة الانسانية وتمايزها عـــن طبيعة اللاهوت، ولكنها اي الأرثوذكسية تؤكد الإتحاد الذي تميز به تجسد ابن الله، والـــذي صـــار يعرف باسم "الاتحاد الأقنومي" وهو تعبير صار العلامة الاساسية التي تفصـــل بـــين الأرثوذكســـية والنسطورية وغيرها.

---

(1) أسقف لاودوكية، أعاد صياغة الترجمة السبعينية على نسق أعظم شعراء اليونان بعد أن منع الأميراطور يوليانوس الجاحد تـــدريس الآداب اليونانية القديمة في معاهد الكنيسة. العجيب أن كل هراطقة العصور الأولى من الإكليروس – أريوس – ابوليناريوس – نسطور – أوطاخي. ولم يظهر على ساحة التاريخ الكنسي هرطوقي واحد من العلمانيين أو من آباء البرية "لباس الصليب".

لقد حاول بعض السذج أن يتهمني بأنني أعلم باتحاد اقنومي بين المؤمنين والمسيح يسوع ربنا، ولكن لم يجد هؤلاء عبارة أو حتى كلمة واحدة تؤكد مساواة المؤمنين بالرب يسوع الإله المتجسد.

**أولاً:**

إن قراءة دقيقة للمقالات الخمس "ضد تجاديف نسطور" بقلم أسقفنا الكبير كيرلس الأول عمود الدين، وهي كلها مؤسسة أو مبنية على فقرات من عظات نسطور نفسه وردت في فقرات كاملة غير مبتورة، وكتب القديس كيرلس رداً مطولاً عليها. لا يظهر في هذه المقالات الخمس أن انفصال النفس أو الروح الإنسانية للرب عن جسده كان من المآخذ اللاهوتية التي حوكم عليها نسطور. وتستطيع مراجعة هذه المقالات على شبكة المعلومات الانترنت. بكل أسف لم ندرس كيرلس الكبير في العصر الوسيط وفي عصر البابا كيرلس السادس والأنبا شنودة. وكان أبونا متى المسكين هو أول من طلب ترجمة القديس كيرلس إلى العربية. ونشرت أول ترجمة لمقالة "تجسد الابن الوحيد"، ثم "المسيح واحد" وجاءت بعد ذلك الرسائل التي نشرها مركز الآباء، وهي أهم الوثائق التاريخية واللاهوتية التي صدرت تباعاً ابتداء من ١٩٨٧ حتى ١٩٩٥ ثم شرح انجيل يوحنا وأظن أنه لم يتم نشر كل الشرح، ولكن العظات على انجيل لوقا كاملة ترجمها ونشرها مركز دراسات الآباء بالقاهرة – كما سمعت – هكذا يعود الينا تراثنا بعد أن غاب قرابة ١٣٠٠ سنة. وقد راجعت كل مخطوطات البطريركية و لم أجد الا شذرات نُقلت عن كتاب لمؤلف سرياني تحت اسم اعتراف الآباء ولدى المتحف البريطاني في لندن أكثر من نسخة. وقد تعذر عليَّ تحديد كل عبارات القديس كيرلس لعدم وجود اسم الكتاب الذي نقلت منه هذه العبارات. بالطبع لا يوجد عندي إلاَّ الاعتراف بشجاعة بطاركة الكنيسة الذين عاشوا تحت حكم المماليك – العثمانيين – وذاقوا مع شعب مصر كله حتى المسلمين مرارة الحياة تحت حكم يسحق ويقتل لأتفه الأسباب لأن مصر لم تكن إلا مزرعة تدر "الخراج" والمحاصيل الزراعية لكل من حكم من دمشق أو بغداد أو القسطنطينية.

كان الأمل هو أن نخلق الحوار ونشجع البحث والدراسات دون خوف ودون تهديد أو على الأقل هو أن تتركنا الرئاسة التي أرعبها ما نُشر من دراسات أقول تتركنا لما نحن فيه دون تهديد بقطع المرتب، والمحاكم ... الخ ولكن ما حدث معروف وضرب قلب الكنيسة القبطية و لم يكن اعتداء على أشخاص بل محاولة أثيمة لمنع نشر التراث، وهجوماً على أعز ما يملكه الإنسان، الحرية والفكر والإيمان نفسه.

**ثانياً:**

كلمات النبي اشعياء ٥٣: ١٢ "سكب نفسه *soul* للموت".

١- حسب المصطلحات الواردة في العهد القديم نفسه، النفس *soul* لها حياة مظهرهـــا المـــادي أو المنظور هو "الدم" والكلمات الواضحة في (لاويين ١٧: ١١) نفس *soul* الجسد هي في الدم" ولذلك منع أكل "الدم" لسببين: الأول لأن الحياة تخص الخالق، والثاني أن أكل الدم كـــان مـــن عـــادات وممارسات الشعوب الكنعانية (تث ١٢: ٣٣) ولذلك قتل = سفك الدم (أمثال ١: ١١ – أشـــعياء ٥٩: ٧) ولا توجد أي غرابة بالمرة في تعبير "اللحم والدم" الذي يطلق على الإنسان ككل؛ لأن هذا يعني اللحم والنفس *soul* (راجع عب ٢: ١٤). والنفس تعني الحياة الإنسانية ككل وهـــي كتابيـــاً وعبرانياً لا تستبعد اللحم أو الجسد بالمرة. فلا وجود للإنسان كإنسان حي بدون الجسد. وهكـــذا يجب أن نفهم ان الرب يسوع قابل الموت في نفسه *soul* الإنسانية التي ذُبحت على الصليب. وعندما يذكر سفر الأعمال عبارة الرسول "سفك دم استفانوس" فهو يعني موته شهيداً. وعلى نفس النســـق "دم المسيح" هو دم الحمل (١بطرس ١: ١٩) الذي سفك وقدم بالروح القدس (عب ٩: ١٣ حسب قراءة آباء الإسكندرية لتعبير "الروح الأزلي" (في عب ٩: ١٣).

٢- إذا كان ما ذكرناه الآن صحيحاً حسب شهادة الأسفار، فكيف سكب الرب دمـــه أو نفســـه *soul* للموت حسب شهادة مقاوم النسطورية الأول والأخير وهو القديس كيرلس عمود الدين؟

**الرسالة الأولى فقرات ٣٥-٣٦-٣٧-٣٨**

"هو الكلمة في جسده الخاص به الذي أخذه من إمرأة، وقد سلم جسده للموت في الوقـــت المعين دون أن يعاني هو نفسه (الموت) في طبيعته الخاصة به لأنه هو الحياة ومعطي الحياة .. هـــو أول من قام من جميع الأموات لأنه مات عن الجميع، لأنه يشتري بدمه الخاص الذين تحت السماء ولكي يربح لله الآب كل الذين في العالم" هذه الحقيقة يعلنها النبي المغبوط اشعياء قائلاً بالروح "لأنه ســـلم نفسه *soul* للموت.." ٥٣: ١٢).

وقبل هذه الفقرة يسأل القديس كيرلس في نفس الرسالة فقرة ٣٥ "نحن على يقين ان الكلمة صار جسداً ... وهو أيضاً وضع حياته لأجلنا ... رغم انه الحياة حسب الطبيعة كإله. فكيـــف إذن يُقال ان الحياة تموت؟ وبمعاناته للموت في جسده الخاص أظهر أنه هو الحياة لأنه أحيا جسده ثانيـــة" لقد قبل الرب الموت وسكب نفسه *soul* أو سُفك دمه. ولذلك في نفس الرسالة فقرة ٣٧ "ســـلم حياته الخاصة به لأجل الجميع وسلم جسده لكي يخضع للموت فترة قصيرة – حســـب التـــدبير – ولكنه هو الحياة فقد أبطل الموت دون أن يعاني الموت في طبيعته (كإله) ولكنه بالموت قضـــى علـــى الفساد وأبطل قوة الموت من أجساد الجميع. لأنه كما أننا جميعنا "نموت في آدم، هكذا أيضاً سنُحيا جميعاً في المسيح" (١كو ١٥: ٢٢)؛ لأنه لو لم يكن قد تألم كإنسان لأجلنا، فإنه لم يكن قد صـــنع كإله ما هو لخلاصنا. لأنه – قد قيل – انه مات كإنسان أولاً، ولكنه عاد إلى الحياة بعد ذلك لأنه الله

حسب الطبيعة، لذلك لو لم يكن قد عانى الموت في جسده حسب الكتب، لما كان قد أُعيد إلى الحياة في الروح، أي أنه عاد ثانية إلى الحياة".

ولعل كلمات الفقرة ٣٨ لا تحتاج إلى تعليق:

"لأنه رغم أنه كواحد منا إلاَّ أنه لم يعرف الموت، لكنه نزل إلى الموت بجسده الخاص بـــه، لكي نصعد نحن أيضاً معه إلى الحياة، لأنه عاد إلى الحياة ثانية، سالباً الجحيم، ليس كإنسان منا، بـــل كالإله في الجسد بيننا وأعلى منا. إن طبيعتنا اغتنت بالخلود جداً فيه هو أولاً، لأنه سحق الموت عندما هجم العدو على جسد الحياة، لأنه كما أن الموت انتصر في آدم، هكذا ايضاً قد انهزم في المســـيح.." (أف ٤: ١٠).

**الرسالة ٤١ إلى أكاكيوس:**

ولعل إعادة نشر هذه الرسالة رداً على رواية يوسف زيدان أصبح ضرورة تاريخية بعـــد أن أشعل الإعلام ناراً بلا داعي حتى ننشغل عن قضايا الكبرى. بهذه المناسبة غير السارة نقـــول بكـــل صدق وحق، لا توجد وثيقة واحدة دُعي فيها الشيطان باسم "عزازيل"، والخيال البشري الجـــامح لا مجال له في دراسة صادقة وأمينة للتاريخ. وغياب الدراسات التاريخية من التعليم اللاهوتي والكنسي هو أحد أسباب الضعف والعجز الفكري الذي يمنع الكثير من الباحثين عن التصدي لجمـــوح الفكـــر وخيالات الإعلام التي دخلت مجال الدراسات الكتابية واللاهوتية ظناً منها أنها تســـتطيع أن تـــزور التاريخ القبطي والمسيحي بشكل عام.

**الفقرة العاشرة من الرسالة ٤١:**

تعد هذه الفقرة من أهم ما كتب عن معنى اسم ذبيحة الخطية حيث ان العهد القديم يصـــف هذه الذبيحة باسم الخطية. استند القديس كيرلس على نص واضح وهو (هوشع ٤: ٨) "يـــأكلون خطايا شعبي، أي يأكلون ذبائح الخطايا".

**الفقرة العاشرة من الرسالة ٤١:**

وهي موجهة في عصرنا الحديث إلى كل الذين أخطأوا في قراءة كلمات الرسول "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا" (٢كو ٥: ٢١) ويشرح المعلم الكبير كلمات الرســـول علـــى النحو التالي:

المقصود هنا هو الآب (فهو الذي جعله) لأننا لا نقول إن المسيح صار خاطئاً حاشا. بل هو بار وبالحري هو البر نفسه، لأنه لم يعرف خطيئة، فالآب جعله ذبيحة عن خطايا العالم "لقد أُحصي مع أثمة" (اشعياء ٥٣: ١٢) واحتمل الدينونة التي تناسب الأثمة (اشعياء ٥٣: ٦) ولأجلنـــا احتمـــل الآلام وبجلداته شفينا (أشعياء ٥٣: ٤-٥) ويكتب بطرس الحكيم جداً "الذي حمل خطايانا في جسده على الخشبة" (١ بطرس ٢: ٢٤).

ينفي القديس كيرلس كل ما يُقال اليوم في بعض كتبنا القبطية بأن المسيح صار خطية وعاقبه الآب على خطايا البشر.

**الفقرة الحادية عشر من الرسالة ٤١:**

"ولأن معاناة الموت كان حتمياً على كل الذين على الأرض لأنه كان عائقاً ضد الجميع بسبب تعدي آدم ومُلك الخطية ساد علينا من آدم حتى زماننا، ولكن كلمة الله الآب الذي هو غني في الرحمة ومحبته للبشر صار جسداً أي إنساناً في صورتنا نحن المستعبدين للخطية وقبل نصيبنا كما كتب عنه بولس الفائق الحكمة" "بنعمة الله ذاق الموت لأجل الجميع" (عب ٢: ٩) وجعل حياته بدلاً عن حياة الجميع، لأن واحد مات عن الجميع لكي يحيا الجميع لله مقدسين ويصيروا أحياء بدمه (رو ٥: ١٢ – ٢١) متبررين كعطية بنعمته (راجع رو ٣: ٢٤) كما يقول يوحنا الإنجيلي "دم يسوع المسيح يطهرنا من كل خطية (١يوحنا ١: ٧)".

**هكذا حدد القديس كيرلس رؤيتنا للصليب:**

* كلمة الله الآب بسبب غنى الرحمة ومحبته صار إنساناً.
* قدم أو جعل حياته بدلاً عن حياة الجميع.
* التبرير بالإيمان هو عطية ولذلك هو مجاناً وهو تطهير من الخطايا بدم يسوع المسيح.

**الفقرة الثانية عشر من الرسالة ٤١:**

يؤكد القديس كيرلس ان المسيح "قدس الكنيسة بدمه" وأنه الآن يقدس المسكن الحقيقي اي الكنيسة وكل الذين فيها بدمه". هذه إشارة لا تخطئها العين الروحية في رؤية الليتورجية وخدمة الافخارستيا. وعندما يشرح موت الرب على الصليب الذي رمز له التيس المذبوح الذي كان يُقدم في يوم الكفارة فهو يقول:

"علينا أن نرى عمانوئيل الذي أباد الموت والخطية والذي (رَمَزَ) له التيس المذبوح، لأنه أباد الموت في الجسد وكان "حراً بين الأموات" (مزمور ٨٧: ٥) فهو لم يدنس بخطايا و لم يخضع لعقوبة الموت مثلنا".

**الفقرة الثالثة عشر من الرسالة ٤١:**

يؤكد القديس كيرلس أن أبواب الهاوية لم تستطع أن تبقي المسيح ورائها كأسير لأن الرب "قام وحطم الجحيم قائلاً للأسرى "اخرجوا وللذين في الظلام استنيروا" (أش ٤٩: ٤ السبعينية). لم يرى جسد الرب فساداً بسبب اتحاده بلاهوت الكلمة، وسكب المسيح نفسه للموت حراً وبإرادته وهو ما لا يقوى عليه الناسوت.

**ثالثاً: هل تغير جسد الرب بالقيامة من الأموات؟**

الجواب قطعاً نعم؛ لأنه كما سبق وقرأنا عند القديس اثناسيوس إنه جسد قابل للمـــوت أو جسد مثل أجساد كل البشر، ولذلك صلب وذاق الموت. وفعل "ذاق" يؤكد نفاذ الموت إلى إنسانية المسيح، ولكنه لم يحدث إلاَّ لأن الابن أراد ذلك "لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها أيضاً لأنه كان يقصد نفسه soul أي حياته مؤكداً حسب قوله الإلهي "هذه الوصية قبلتها من أبي" (يوحنا ١٠: ١٧ – ١٨).

**يوجد إجماع عام عند آباء القرن الرابع والخامس على تأكيد:**

* إرادة الرب يسوع الحرة في قبول الصليب بسبب محبته للبشر.

* إرادة الرب يسوع الحرة في قبول الموت، ولذلك دخل هذا التعبير في صلوات كل الكنائس الأرثوذكسية "الموت الطوعي" و"الموت الإختياري"، لأن الرب لم يمت علـــى الصـــليب قســـراً أو إستطاع الموت أن يرغمه على ان يسلم نفسه للموت دون إرادته حسب تصريح الرب يسوع نفسه السابق ذكره في (يوحنا ١٠: ١٨). وهذه هي كلمات المعلم العظيم وهو يشرح كلمـــات الـــرب يسوع:

"ولكن حينما صار إنساناً، وأخذ جسداً يخاف، وبسبب هذا الجسد وحَّد إرادتـــه الخاصـــة بالضعف البشري، لكي بإرادته لهذا الضعف، يعطي للإنسان الشجاعة في مواجهة الموت .. خوفنـــا نحن ذلك الذي نزعه المخلص، لأنه كما أباد الموت بالموت، وبما تملكه بشريته أبطل كل ما للإنسان مثل الخوف، فقد نزع خوفنا وأعطى البشر أن لا يعودوا يخافون الموت .. وقـــال "لي ســـلطان أن أضعها .." (يوحنا ١٠: ١٨) فكونه يضطرب (يوحنا ١٢: ٢٧) فهذا خاص بالجسد، وان يكون له سلطان أن يضع نفسه ***soul***، وأن يأخذها أيضاً حينما يشاء، فهذا أمر لا يخص طبيعة البشـــر بـــل خاص بقوة الكلمة لأن أي إنسان لا يموت حسب سلطانه الخاص، بل حسب ما تمليه الطبيعة ورغم ارادته، أما الرب، فلأنه هو نفسه غير مائت، ولكن أخذ جسداً مائتاً، **فله سلطان كإله أن يفصـــل النفس عن الجسد** وأن يعيدها حينما يريد. وداود يرتل عن هذا قائلاً "لن تترك نفسي في الجحيم ولا تدع قدوسك يرى فساداً" (مزمور ١٦: ١٠ وهو ١٥: ١٠ في السبعينية، (ضـــد الأريوســـيين ٣: ٥٧).

وهكذا كان فصل النفس عن الجسد هو الموت الحقيقي على الصليب حسب إرادة الكلمـــة وبقوته الإلهية وليس خضوعاً للموت الذي تخضع له الطبيعة الإنسانية عن إضطرار، وبسلطان الكلمة.

ونظراً لدقة هذه النقطة بالذات، يلزمنا أن نورد هنا كلمات القديس غريغوريوس النيسي في رده على أنوميوس:

"سبق وأخبر (الرب) عن زمان آلامه أنه سوف يفصل نفسه ***soul*** عـــن جســـده بإرادتـــه الطوعية قائلاً "ليس أحد يأخذ نفسي ***soul*** مني بل أنا أضعها، لي سلطان (قوة) أن اضعها .. (يوحنا

١٠: ١٨) لأن اللاهوت قبل التجسد، وفي التجسد وبعد آلامه هو غير متغير، ويظل كذلك دائماً غير متغير بالطبيعة إلى الأبد، ولكن في آلام طبيعته الإنسانية أكمل اللاهوت التدبير لأجلنا بأن فصل النفس *soul* لبرهة عن الجسد دون ان ينفصل اللاهوت عن عناصر الحياة الإنسانية التي اتحد بها، لأنه عاد وأتحدها معاً، لكي يعطي الطبيعة الإنسانية كلها بداية ومثالاً سوف يُعلن في قيامة الأموات أي عندما يلبس الفاسد عدم فساد، لأن باكورتنا قد نقلت (تحولت) إلى الطبيعة الالهية بسبب اتحادها بالله" (الكتاب ٢: ١٣ راجع ترجمة انجليزية ركيكة في مجلد ٢٥ آباء ما بعد نيقية ص ١٢٧ – راجع أيضاً نفس الشرح للقديس هيلاري أسقف بواتيه: الثالوث كتاب ١٠: ٥٧-٦٠ ونفس الشرح للقديس اوغسطينوس مقالات على انجيل يوحنا Tractates ٤٧: ٩-١٣).

**لقد هدم الرب صرح الموت كله، وهو صرح يعتمد على:**

* فصل النفس عن الجسد.
* فساد وتحلل الجسد في القبر.

وبذلك أعلن الرب كباكورة الراقدين ماذا سيحدث في القيامة، وهو عودة النفس واتحادها بجسده بعد انفصال النفس الذي أبيد بسبب قبول الرب يسوع بإرادته الحرة الموت الإختياري أي يفصل نفسه عن جسده لكي يؤسس بذلك فداء الإنسان ككل.

ولعل هذه الصلاة الفخمة في قداس الكنائس الأرثوذكسية تؤكد لنا كمال التدبير الإلهي:

"لقد كنت في القبر بالجسد، وفي الجحيم بالروح كإله، وفي الفردوس مع اللص وعلى العرش مع الآب والروح مالئاً الكل أيها المسيح غير المحصور" (كتاب خدمة الكهنة المطران يوحنا يازجي، ٢٠٠٠، ص ١٩٨).

لا يجب أن نخطئ في استخدام كلمة الروح لأنها الروح الإنسانية؛ لأن الرب "نزل إلى الجحيم من قبل الصليب"، ونزلت نفسه الإنسانية، ولذلك ارتعد منه بوابو الجحيم حينما رأوه" (القديس اثناسيوس ضد الأريوسيين ٣: ٥٤ وفي ٣: ٥٦ يذكر القديس اثناسيوس "لا يجوز أن يقال إن الرب ارتعد، وهو الذي هرب من أمامه بوابو الجحيم" وفي ذكصولوجية عيد القيامة:

"حينئذ امتلأ فمنا فرحاً ولساننا تهليلاً.

لأن ربنا يسوع المسيح قام من بين الأموات.

بقوته أبطل الموت.

وجعل الحياة تضيء لنا.

وهو أيضاً الذي مضى إلى الأماكن التي أسفل الأرض.

بوابو الجحيم رأوه وخافوا.

أهلك أوجاع الموت (حرفياً مخاض الموت وترجمت "طلقات الموت" فلم تستطع ان تمسكه (أعمال ٢: ٢٤).
سحق الأبواب النحاس
وكسر المتاريس الحديد
وأخرج مختاريه بفرح وتهليل
وأصعدهم معه إلى العلو إلى مواضع راحته".

وعن مخاض الموت الوارد في سفر الأعمال (٢: ٢٤) يقول معلمنا ذهبي الفم:

"لكن الله أقامه محرراً اياه من مخاض الموت لأنه كان من المستحيل ان يبقيه الموت تحت سطوته".

وهنا نرى شيئاً عظيماً وباهراً في تعبير "من المستحيل"؛ لأنه يؤكد انعدام قدرة أو سطوة الموت، بل يؤكد هذا التعبير أن الموت نفسه عندما أراد أن يُمسك به، ذاق الموت مخاض الولادة وتألم بشدة؛ لأن مخاض الموت في العهد القديم كان يعني خطراً حقيقياً ومصيبة (راجع الترجمة السبعينية) صموئيل ٢٢: ٦ – مزمور ١١٦: ٣) وهكذا قام ولن يسود عليه الموت لأن الكلمات "كان من المستحيل أن يبقيه الموت تحت سطوته" تعني أن القيامة خاصة به وحده (عظات على سفر الأعمال العظة ٦).

**وفي رد القديس غريغوريوس النيسي على أنوميوس:**

"كان من اللائق أن يزرع الرب فينا قوة القيامة من الأموات لأنه صار "بكر الراقدين" (١كو ١٥: ٢٠) لأنه بإرادته حل مخاض الموت أولاً، حتى يؤسس ميلاده الجديد من الموت طريقاً لنا نحن فلا يُمسك بنا الموت لأننا تحررنا بقيامة الرب" (٢: ٨ ص ١١٢-١١٣).

**ملاحظة على النص اليوناني ليوحنا ١٠: ١٧-١٨:**

أنا أضع نفسي

εγω τιθημι την ψυχην μον

ورد نفس الفعل τιθημι في (يوحنا ١٣: ٣٧ – ١٥: ١٣ – ١ يوحنا ٣: ١٦) الفعل نادر في اليونانية القديمة وخلف الفعل التعبير الآرامي masar matsho أي يسلم أو يقدم حياته .. الترجمة القبطية أوضح:

Ϫⲉ ⲁⲛⲟⲕ ϯⲭⲱ ⲡⲁⲯⲩⲭⲏ ϩⲓⲛⲁ ⲟⲛ ⲛⲧⲁϭⲓⲧⲥ

"أنا أقدم، أضع نفسي لكي آخذها".

لذلك، وإن كانت كلمة "نفسي" أحياناً تترجم حياتي، إلاَّ أن النفس هي موضوع التقديم والنفس تعني في لغة الكتاب المقدس الإنسان ككل كما أن كلمة جسد تعني الإنسان ككل.

ويجب أن نلاحظ أن الفعل نفسه هو المستخدم في القداس الباسيلي:

Ⲁϥⲭⲱ ⲇⲉ ⲛⲁⲛ ⲉϧⲣⲏⲓ

"ووضع لنا هذا السر العظيم الذي للتقوى".

والعبارات الخاصة بتقوى العصر الوسيط لا تكفي أي تلك التي تقول إن الرب "وضع هـذا السر في علية صهيون"؛ لأن الفعل هنا خاص بالتقديم، وليس فقط بتأسيس السر حسب تقوى علماء العصر الوسيط الأوربي الذي تسلل إلينا من كتب الإرساليات، وإنما يوجد جانب لا يمكن إهماله وهو البذل، ذات البذل السري في العلية والمستعلن على الجلجثة لكل العالم.

**اتحاد النفس بالجسد في سر الإفخارستيا:**

السائد في كل القداسات الأرثوذكسية هو رشم الجسد بالدم، والدم بالجسد عند الروم والأقباط والسريان والأرمن والأحباش. وقد حرصت القداسات على الاحتفاظ بهذا الطقس السرائري لتأكيد أن تقديم الجسد والدم منفصلين تماماً يعني الموت، ولكن لأن الأفخارستيا هي المسيح يسوع كله وأن الذبيحة هي ذبيحة التجسد والصلب والقيامة، لأننا لا نعرف في تاريخ الأرثوذكسية الطويل ذلك الفصل والتقسيم بين إعلانات التدبير: التجسد، المعمودية، الصلب، القيامة، لذلك حرصت القداسات على وضع الجسد (وليس جزء من الجسد لأننا لا نستخدم كلمة قطعة أو جزء لخبز الإفخارستيا، وأصغر جوهرة وهو الإسم القبطي القديم هو جسد الرب يسوع كله، لأن المسيح لا ينقسم في الكأس. حسب الطقس القبطي هو علامة الصليب التي تتوسط القربانة والتي ترمز إلى الرب يسوع وتوضع في الكأس، هذا الختم يسمى "الحمل" عند الروم.

ولدى مراجعة الخولاجيات القديمة، لم نجد صلاة القسمة السريانية، وانما وجدناها بالعربية وأُعيد ترجمتها إلى القبطية في "الدير المحرق"، وهي ليست صلاة قسمة، وإنما هي الشرح السرياني على القداس، ولاحظ العبارات "وأتت نفسه واتحدت بجسده، ولكن لاهوته لم ينفصل قط لا من نفسه ولا من جسده".

**الجسد الممجد حسب شرح الآباء أثناسيوس وكيرلس الكبير:**

ذكر القديس اثناسيوس في المقالة الثانية ضد الأريوسيين فقرة ٦١.

"هكذا كلمة الله عندما لبس هو أيضاً جسد البشر قيل عند ذلك فقط إنه خلق وصنع .. حينما صار الكلمة انساننا لكي يعطي لنا النعمة قيل عنه "الرب قد خلقني، لأنه ليس ما هو مخلوق وصار مثلنا حسب الجسد، ولهذا فمن الصواب أن يُدعى "أخانا" و"بكرنا" ورغم أنه صار إنساناً بعد خلقتنا، ولكن لأجلنا يُدعى "أخونا" بسبب جسده الذي يشبه جسدنا، لذلك هو يُدعى "بكرنا" لأن جميع البشر هلكوا بسبب معصية آدم، ولكنه صار البكر لأن جسده كان هو أول ما تم خلاصه

وتحريره لأنه جسد الكلمة ذاته، وهكذا إذ قد صرنا متحدين بجسده نخلص على مثال جسده، لأنه بهذا الجسد صار الرب في الجسد قائدنا إلى الملكوت السماوي وإلى أبيه نفسه .. أنا هو الباب (يوحنا ٢٤: ٦) الذي يجب على الجميع أن يدخلوا بي. ولنفس السبب دعي أيضاً "البكر من بين الأموات" ليس لأنه أول من مات، فقد متنا نحن قبله، بل لأنه قد أخذ على عاتقه أن يموت لأجلنا فأبطل الموت، فصار هو الأول الذي قام كإنسان، لأنه أقام جسده لأجلنا، وتبعاً لذلك حيث أن الجسد قد أُقيم، هكذا أيضاً نحن نقوم من بين الأموات منه وبه.

لقد تم خلاص الناسوت الذي أخذه الرب من القديسة مريم لأنه ولد من القديسة مريم القابلة للموت التي أخذ منها جسده، لذلك كان من الضروري حينما كان يعاني في الجسد ان يعاني وأن يبكي. "ضد الأريوسيين ٣: ٥٦، فالرب لم يأت من مصدر إنساني آخر غير الإنسانية التي سقطت في قبضة الموت.

وعندما يشرح القديس أثناسيوس عبارة سفر الأمثال (٨: ٢٢) "أول الطريق" يقول إن هذا الطريق الأول ضاع من آدم "وانحرف نحو الموت بدل الحياة في الفردوس وسمعنا جميعاً "انك تراب والى التراب تعود" (تكوين ٣: ١٩) لذا فإن كلمة الله محب البشر لبس الجسد المخلوق بإرادة الآب لكي يحيي بدمه الذاتي هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديه، كما قال الرسول "وكرس لنا طريقاً حياً حديثاً بالحجاب أي جسده" (عب ١٠: ٢٠) وهو ما أشار اليه في موضع آخر حينما قال: "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة ..." (٢كو ٥: ١٧) فمن الضروري أن يكون لهذه الخليقة الجديدة شخص هو أولها، ولا يمكن أن يكون ذلك الشخص أي إنسان ترابي ضعيف لأن هذا هو حالتنا نحن بسبب التعدي لأن الخليقة الأولى صار البشر عديمي الإيمان، وبذلك هلكت الخليقة بسبب (آدم وحواء) ولذا كانت الحاجة إلى آخر يقوم بتجديد الخليقة الأولى، وأيضاً يحفظ الخليقة الجديدة التي ستأتي. لذلك فمن محبته للبشر لم يُخلق أي شخص غير الرب ليكون أول طريق الخليقة الجديدة ... لكي لا يحيا الإنسان فيما بعد حسب الخليقة الأولى لأنه صارت للخليقة الجديدة بداية وهو المسيح الذي هو بدء طريقها" (المقالة الثانية ضد الأريوسيين ٦٥).

**ملاحظات عقائدية على الفقرة ٦١، ٦٥ من المقالة الثانية ضد الأريوسيين:**

١- إذا كان ناسوت الله الكلمة هو أول طبيعة إنسانية تم تحريرها، فإن المقصود حسب كل ما ذكره القديس أثناسيوس هو:

* عدم الموت أي الخلود، وهو نفس التعبير الذي يندرج تحت تألُّه ناسوت الابن الوحيد مع بقاء هذا الناسوت، بشراً حقيقياً، وسوف نعود إلى تأله ناسوت الرب في مناسبة أخرى. لكن قد

أعطى الإبن "للجسد كمالاً" (٣: ٥١) وحسب عبارة القديس اثناسيوس "نزع عنه الموت وتألـــه" (٣: ٤٨) وأيضاً تجسد الكلمة ٤٤: ٦.

* لم يعد الجسد خاضعاً للألم، وعدم التألم هي صفة من صفات لاهوت الله الكلمة، فالجسد "له الآلام الخاصة به" (٣: ٤١) وعدم الألم هي صفة "جسد المجد" فقد أقام الرب جسده في اليـــوم الثالث حاملاً عدم الفساد وعدم التألم **اللذين حصلا لجسده** كعلامة للظفر والإنتصار على المـــوت (تجسد الكلمة ٢٦: ١ – ٢١: ٧) وهذا يعني تحول المائت إلى غير مائت، المتألم إلى غير متألم.

٢- هنا نستطيع أن نفهم عبارة المعلم العظيم بأن الرب "فدى جسده بدمه" وهذا يقودنا إلى النقطة الثانية الهامة، وهي أن الرب لم تحوله قوة خارجية فرضت نفسها عليه، ولكنه كان التحـــول الذي يتم داخلياً بواسطة الكلمة نفسه الذي نقل إلى كيانه المتجسد قوة الحياة التي فيه، ولذلك "قدَّس الجسد" (تجسد الكلمة ٤٣: ٧ – ١٧: ٥). وعندما تجسد لم تكن إبادة الموت فكرة مجردة تعـــبر في حياة الرب يسوع، بل كان من الضروري أن "يباد الموت" فيه بقوة المخلص" (تجسد الكلمة ٢٦: ٦) "ونال الجسد منه (الكلمة) قوة" (تجسد الكلمة ٢١: ٤-٥). ولذلك يصف اثناسيوس العظيم القيامة بأنها "نعمة"؛ لأن "الفساد قد بطل وأبيد بنعمة القيامة" (تجسد الكلمة ٢١: ١). هذا ما هو يجب أن يوصف حسب كلمات المعلم نفسه بأنه تحول "لم يكن ممكناً أن يحول الفاسد إلى عـــدم فســـاد إلاَّ المخلص نفسه .. يجعل الإنسان المائت غير مائت إلاَّ ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها" (تجسد الكلمة ٢٠: ١).

٣- النقطة الجديرة بالإهتمام والتي يجب أن تستوعب، هي أن التحـــول لم يكـــن عمـــلاً ميكانيكياً مثل سريان الكهرباء أو اشتعال النار. لأننا أمام حدث كبير وتحول لا يمكن لأي قوة مخلوقة أن تساهم فيه، هو الخلق الجديد الذي صار طريقاً جديدة، وصار بداية حياة جديدة في آدم الأخـــير الرب من السماء (١كو ١٥: ٤٧) وتحول الناسوت هو ذلك النمو والتقدم نحو كمال التدبير. ونحن نحتاج إلى ان نقف أمام عبارتين كل منهما يؤكد الإتحاد الأقنومي (رغم أن القـــديس اثناســـيوس لم يستخدم هذا التعبير) ولكنه متناغم تماماً مع التدبير "ففي نموه (أو تقدمه) كان يزداد ايضـــاً ظهـــور اللاهوت فيه لأولئك الذين رأوه، وكلما كان اللاهوت يُستعلن أكثر فأكثر، كلما ازدادت نعمتـــه كإنسان أمام كل الناس. فهو كطفل حُمل إلى الهيكل .. وكان جسده ينمو شيئاً فشيئاً (الكلمة كان يُظهر ذاته فيه" (ضد الأريوسيين ٣: ٥٢) وأيضاً "لأنه هكذا بإزدياد الجسد في القامة كان يزداد فيه ظهور اللاهوت للكل ايضاً ويظهر للكل أن الجسد هو هيكل الله (٣: ٥٣)

٤- التحول الداخلي في داخل الكلمة المتجسد شُرِحَ بعناية في الفصل ٤٢ من تجسد الكلمة على هذا النحو:

* كان الإنسان موجوداً فعلاً وكان محتاجاً إلى مجيء الكلمة (٣).

* كان الفساد الذي حدث لم يكن خارج الجسد بل كان ملتصقاً به (٤)

* لو كان الموت خارج الجسد لكان من الصواب أيضاً أن ينال الجسد حياة من الخارج، ولكن كان الموت قد صار داخل نسيج الجسد وموجوداً في كيان الإنسان، بل له سيادة على الإنسان، لذلك كان من اللازم ان تصل الحياة إلى داخل نسيج الجسد، حتى إذا لبس الجسد الحياة بدل الموت يطرح عنه الفساد (٥)

كل هذا تحدده حقيقة اساسية وهي ان الكلمة تجسد فعلاً و لم يكن موجوداً فقط خارج الجسد كإله، بل في الجسد الذي اتحد به.

* لو افترضنا أن الكلمة جاء خارج الجسد وليس فيه، لكان الموت قد هزم منه حسب قانون الطبيعة إذ أن الموت ليس له سلطان على الحياة، ولكن رغم ذلك، كان الفساد سيظل باقياً في الجسد" (٥)

* لهذا السبب كان من اللائق أن يلبس المخلص جسداً لكي إذا اتحد الجسد بالحياة لا يعود يبقى في الموت كمائت، بل إذ قد لبس عدم الموت، فإنه يقوم ثانية **ويظل غير مائت بعد ذلك"**.

هذا كله مبنى على حقيقة تجسد الكلمة:

* لبس الكلمة جسداً لكي يلاقي الموت في جسده ويبيده (٦)

* كلمة الله الذي بدون جسد قد لبس الجسد لكي لا يعود الموت والفساد يرهب الجسد .(٧)

٥- البداية الجديدة أو الطريق الجديد أو الخليقة الجديدة (الأصح الخلقة الجديدة) هي آدم الثاني أو آدم الأخير الرب يسوع المسيح نفسه (١كو ١٥: ٤٥-٤٩) والتحول هنا، من: الإنسان الأول ترابي من الأرض إلى الإنسان الثاني الرب من السماء. وطبعاً عبارة "الرب من السماء" تعني ربنا يسوع الإله المتجسد، لكن الرسول لا يقف عند مجرد "الوصف"؛ لأن ذلك الوصف يصل إلى غاية التدبير. كما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي"، فالتحول هو أن الفاسد أي اللحم والدم – أي الإنسان في صورته الطبيعية لا يرث عدم الفساد (١كو ١٥: ٤٩ -٥٠).

تقبل أسمى تحياتي

د. جورج حبيب بباوي